

الحقن المتواصلة التي غذاهم بها زعماءهم . يكرس  
الحاخام ازيدور ابشتاين في كتابه « اليهودية »  
فصلا عن « انتخاب اسرائيل » من قتل السرب  
فيعلق على كلمات سفر الخروج « فلان ان سمعتم  
لمصوتي وحفظتم عهدي تكونون خاصة لي من بين  
البشر فان لي كل الارض وانتم تكونون لي مملكة  
كهنة وامة مقدسة » ، فيقول : « ان يهوه قدر  
لبنى اسرائيل حياة خاصة ، حياة من القدسية  
تبرزهم كشعب متميز عن بقية شعوب العالم »  
( ابشتاين ، ازيدور ، اليهودية ، بليكان ، ١٩٥٩  
ص ٢٠ ) ، وبالنظر لقدسية اسرائيل فقد انفردت  
بالعصبة . وهكذا وجدنا زعيم الفطرسة الصهيونية  
ديفيد بن غوريون يجيب على تبرير فضيحة لافون  
بانها كانت هفوة غير عليه قائلا « ان اسرائيل لا  
تقع في هفوة » . ولا تحسبنا أحوج الى مثال أفضل  
من هذا .

وفي ضوء هذا المفهوم علت مآسي اسرائيل  
بكونها احداث من عمل يهوه . اراد يهوه مثلا من  
السبي تشتيت اليهود ليصبحوا مصايح تستتر  
بها الشعوب . في ضوء ذلك أيضا نشأت الافكار  
الشوفينية والعرقية . على اليهود الا يمتزجوا مع  
بقية الشعوب . لماذا ؟ لان اليهود انظف وأنبل  
والآخرين تظرون ويأكلون الاذكار . على اليهودي  
ان يقتصر على اكتساب الحكمة من التوراة والمسنة  
والتلمود . لماذا ؟ لانها احتوت كل ما يحتاجه  
الانسان من معرفة . . تماما مثلما يدرسون التلاميذ  
في اسرائيل على أساس ان جغرافية اسرائيل  
هي كل ما يحتاج التلميذ معرفته . أما التاريخ فما  
هو الا سلسلة من انجازات اليهود واضطهاد  
الاقبار لهم .

وإذا شاء الله ان يتبنى شعبا من الشعوب  
ويسميه شعبه المختار وابنه المصطفى فلا بد من أن  
يختار هذا الشعب من أنبل الشعوب واذكاهها  
واقدرها واجملها و... الخ . من صفات التفضيل  
وقضى اليهود تاريخهم في هذا الازدواج بين واقع  
الذل والمسكنة وخيال العظمة والسمو وعاشوا  
كذلك حتى القرن التاسع عشر .

النقطة الحرجة هنا كانت الثورة الفرنسية التي  
اطلقت اليهود من عقابهم . وتوالت على اثر ذلك  
سلسلة من الاحداث التي كان لها اعمق الاثر على  
قصة اليهود في العصر الحديث . فبعهد الصراع  
الطويل بين نابليون وانكلترا ظهرت حاجة الطرفين

الاحتقار كجزء من المدينة المنحطة . هناك مثل هذه  
المجتمعات المنحطة المحترقة ما زالت بيننا في الشرق  
الايوسط منها على سبيل المثال المغان في العراق  
والنور في فلسطين . ومن المحتمل ان العبريين قد  
امتهنوا التجارة بين البادية والحضارة في هذا  
المفرق من الطرق مما جلب عليهم المسخط المألوف  
على اصحاب التجارة .

وسواء في بادية الشام ام في مصر ام نسي  
فلسطين ، فان من الواضح ان العبريين تسد  
جابهوا احتقارا ومذلة واستعبادا في مولد حياتهم  
التفويجية كشعب . ولا بد لهذه الحالة من رد فعل  
لها . العزة والكرامة التي ترددت على لسان  
الرئيس الخالد جمال عبد الناصر لم تكن ديماجوجية  
خطابية ولا فكرة مثالية . انها في اكثر الاحيان  
موازية للخبز والماء في اهميتها . الخبز ومسيلة  
الانسان للحياة ولكن جدارته كائنسان هي غاية  
الانسان ، عليها تتوقف كل آلية بقاء الاصلاح  
والنشوء والارتقاء . وعندما تهدر الكرامة او  
تثبت عدم الجدارة ، يسرع صاحبها الى الاعذار  
والحيل ليعلل ما حدث . وعندما تتعذر الاعذار  
والتعليلات يصل النقطة الانتحارية التي تنعدم فيها  
قيمة حياته او غايتها .

تحت ظل العبودية والمذلة التي عاشها بنو  
اسرائيل ، لم يمكن لهم ان يعيشوا بدون تعليل  
ما لحق بهم ، بدون تبرير جدارة حياتهم . وكلما  
ازدادوا غرقا بالذلة كلما ازدادت حاجتهم الى  
مقادير أكبر وأكبر من التبريرات حتى وصلوا درجة  
من الهوس الذهاني انهم تصوروا أنفسهم شعب  
الله وابنائهم ثم مضوا في نسج سلاسل مركبة من  
التعليلات والتبريرات من هذا المنطلق لكل مسا  
حدث لهم .

ان معظم الشعوب قد ولدت في فرحة وبهجة وفي  
انطلاقة شامخة جبارة . هكذا بدأت حياة الامة  
العربية والافريقية والرومانية والبريطانية . ولكن  
الشعب العبري يكاد يكون الشعب الوحيد الذي  
بدأ حياته كشعب في ألم وعبودية . وعاد نقضى  
القرون من تاريخه بين الامم فيما وصفه القرآن  
ببلاغته المعتادة « وضربت عليهم الذلة والمسكنة » .

لقد انقضت او ذابت — او قل انتحرت قوميا —  
المجموعات البشرية التي تعرضت لمثل ذلك الضغط .  
ولم يكن لبنى اسرائيل الاستمرار في البقاء لولا